إعادة الاعتبار للتراث العمراني في إطار تظاهرة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية 2015
وأثره على التنمية السياحية بمدينة قسنطينة

بن الشيخ الحسين وليد

مهندس دولة في التهيئة العمرانية، بالديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية المحمية (OGEBC) جامعة قسنطينة 1

–تقديم مدينة قسنطينة:

1–1 الموقع: تقع مدينة قسنطينة بالشرق الجزائري و هي تبعد عن العاصمة بحوالي 437 كلم وعن عنابة بـ 156 كلم، تحدها من الشمال سكيكدة (89 كلم) ومن الغرب ولاية ميلة (50 كلم) ومن الجنوب ولاية أم البواقي (100 كلم) و من الشرق ولاية قالمة (106 كلم).

و مما يزيد في في تميز موقعها هو تواجدها ضمن شبكتين حضريتين مهمتين: الشبكة الحضرية الساحلية شمالا و الشبكة الحضرية الداخلية جنوبا، مما أكسبها صفة بوابة الشرق الجزائري والمدخل إلى الصحراء[1].

أما المدينة القديمة أو الصخرة كما يحلوا للبعض تسميتها فهي تتوسط مدينة قسنطينة تفصلهما خوانق وادي الرمال ووادي بومرزوق، كما ترتبطان بأربعة جسور هي على التوالي: جسر سيدي راشد، جسر ملاح سليمان، جسر باب القنطرة، جسر سيدي مسيد أو المستشفى.

صورة 01: الجسور الأربعة لمدينة قسنطينة

تتربع المدينة القديمة على مساحة تقدر بحوالي 45 هكتارا، طولها من الشرق إلى الغرب هو في حدود 500 م ومن الشمال إلى الجنوب هو حوالي 700 م.

حاليا حدود المدينة القديمة هي محددة تبعا للمرسوم التنفيذي رقم 05–208 المؤرخ في جوان 2005، حيث يشير هذا الأخير إلى أن حدود المدينة هي كتالي:

- من الشمال والشمال الشرقي والشرق، خوانق وادي الرمال
- من الشمال و الشمال الغربي و الغرب، الحواف الصخرية
- من الجنوب الغربي المركز الثقافي محمد العيد آل خليفة.
- من الجنوب حي باردو.

2–1 نبذة تاريخية عن مدينة قسنطينة:

لقد كان لموقع مدينة قسنطينة الاستراتيجي أهمية كبرى عبر الحقب والفترات الزمنية، حيث أنه كان سببا أساسيا في استقرار العديد من الحضارات بها، بداية بالحضارة النوميدية، البيزنطية، الرومانية مرورا بالحضارة العربية الإسلامية ممثلة في الزيريين، الحماديين والحفصيين وإنتهاء بالعثمانيين قبل أن يدخلها المستعمر الفرنسي سنة 1837، محتلا لأراضيها و مغيرا لتراثها العمراني و معالم مبانيها[2].

وبالرغم من تعاقب كل هذه الحضارات على مدينة قسنطينة، إلا أنه لا توجد وثائق رسمية و دقيقة عن هذه الحقب الزمنية إلا القليل، لذلك سنركز في بحثنا هذا على فترتين هما الفترة العثمانية و

الفرنسية، نظرا لتواجد وثائق تاريخية عن هاتين الفترتين وكذلك كون هاتين الأخيرتين من أهم الفترات التي مرت بها قسنطينة.

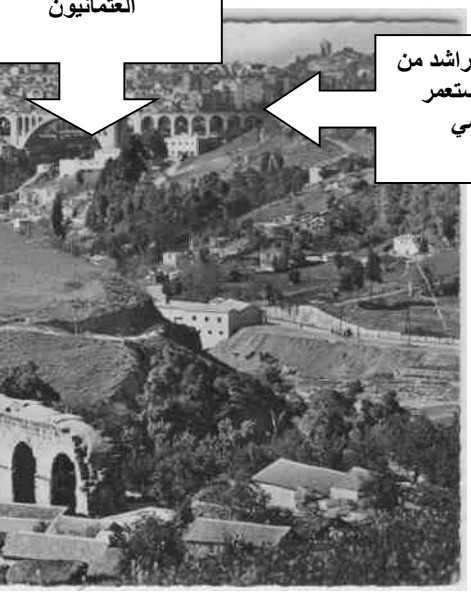

صورة 02: بعض المعالم التي مازا

أ/ الفترة العثمانية: فإبتداء من سنة 1567 أين تم تسمية الباي رمضان تشولاق حاكما على قسنطينة و إلى غاية 1826 ، تاريخ تنصيب الحاج أحمد باي، تعاقب على حكم قسنطينة 46 بايا، كان أهمهم إثنان هما صالح باي والذي ينسب إليه بناء عدة بنايات وكذا عملية ترميم جسر القنطرة والثاني هو الحاج أحمد باي أخر بايات قسنطينة، والذي ترك اسمه محفورا من ذهب خاصة وهو الذي ينسب إليه بناء قصر أحمد باي هذه التحفة المعمارية الوحيدة من نوعها في العالم، كما لا ننسى مقاومته لفرنسا منذ نزولها بسيدي فرج سنة 1830إلى غاية جبال الأوراس سنة1848 .

ب/ الفترة الاستعماري 1837–1962 م: لقد أحدث المستعمر الفرنسي تغيرات كثيرة و عدة على النسيج العمراني للمدينة القديمة خاصة الجهة الغربية منها (القصبة)، حيث شق الطرق و هدم المباني، لتحل محلها أخرى بطابع معماري أوروبي، وبذلك شوه المظهر العربي الإسلامي لجزء من المدينة.

وأصبحت المدينة القديمة مزدوجة النسيج العمراني و بذلك تداخل النوعان لينتج عنهما هوية مزدوجة جديدة للمدينة القديمة.

كما يمكنا ذكر شهادة اعترف بها الباحث BERNARD PAGAND هو "أنه في الجزائر العاصمة و قسنطينة و مقارنة مع المدينة القديمة لتونس أو فاس في المغرب، فإن المجال التقليدي بها تعرض إلى تخريب كبير وأن التحولات المرفولوجية للمدينة القديمة هي بفعل الاستعمار. [3]

صورة 03: الثلاث أنسجة الناتجة عن تدخل الاستعمار الفرنسي على المدينة القديمة

2–الإمكانيات السياحية لقسنطينة:

تحوز ولاية قسنطينة على إمكانيات سياحية ضخمة يمكن تقسيمها إلى قسمين :

1– إمكانات طبيعية: غابة جبل الوحش والمريج و مجموعة من الكهوف والمغارات والقبور كانت لأهالي قسنطينة في حقبة ما قبل التاريخ، نذكر أهمها: كهف الدببة (طوله 60م) و كهف الأروي (طوله 6 م)،مغارة الحمام، المقابر الميغاليتية لبونوارة بلدية أولاد رحمون، رسومات ما قبل التاريخ و المتواجدة على مستوى عين النحاس، بلدية الخروب.

2–إمكانات عمرانية: المدينة القديمة لقسنطينة وقصر أحمد باي، نصب الأموات،تمثال سيدة السلام، الأقواس الرومانية وإقامة صالح باي ،الموقع الأثري تيديس و ضريح يوليوس بالقرب من تيديس وكذا ضريح ماسينيسا، الجسور، درب السواح.

3–التراث العمراني كأحد أهم هذه الإمكانات:

سنسعى من خلال هذا العنصر إلى إبراز، المكونات العمرانية للمدينة القديمة، والتي يمكن اعتبارها من أهم المكونات السياحية إن لم نقل أهمها.

ما تبقى في المدينة القديمة من تراث معماري وعمراني يعود إلى الفترة العثمانية، عدا المسجد الكبير والذي بني في عهد الحماديين وكذا الجسور و بعض المباني و المنشآت التي تعود إلى الحقبة الاستعماري، كما توجد هناك المدارس و الفنادق و الزوايا و الرحاب و الدروب والحمامات ...و غيرها، و هذا الجدول يوضح أهم تجهيزات المدينة المتبقية في الوقت الحالي:

المساجد	المسجد الكبير، مسجد صالح باي أو الكتانية (1776)، سيدي الأخضر(1743)، سوق الغزل(1730)،مسجد الاستقلال، سيدي عفان، سيدي ميمون، سيدي مغرف، سيدي عبد المؤمن، سيدي محمد الدباغين، سيدي قموش، الأربعين شريف، سيدي عبد الرحمان القروي، عمر الوزان، سيدي جليس
المدارس	سيدي الكتاني أو الكتانية، العربي بن مهيدي، مدرسة سيدي الأخضر
الزوايا	زاويتي عبد الرحمان باش تارزي، التيجانية السفلى و العليا، السيدة حفصة، العيساوية، بوعبد الله الشريف، سيدي أدرار، الطيبية، حنصالة، القادرية، بن الشيخ لفقون .....
الدروب	درب بن شريف، درب بن الشيخ لفقون
الحمامات	بوقفة، دقوج، سوق الغزل، باي نعمان، بلبجاوي، بن طوبال، البطحة، .....
الرحاب	العقيد سي الحواس (أمام قصر الباي)، سيدي جليس، سوق العصر، الرصيف، الزلايقة، رحبة الصوف
القصور	قصر الحاج أحمد باي (1835 م)
الجسور	جسر باب القنطرة، سيدي راشد، الشلالات، ملاح سليمان، الشيطان
الفنادق	بن حمادي، باش تارزي، جاب الله، الزيات، الزيت، مزابي....

المصدر: من إنجاز الباحث

غير أن الحالة العامة لهذه التجهيزات لا تدعو إلى الارتياح، لأنها تعاني من تدهور مستمر عدا بعضها والأمثلة كثيرة، كما يمكننا الإشارة إلى تغير وظيفة البعض منها، وعلى سبيل المثال نذكر الفنادق والتي تحولت إلى متاجر تباع فيها الألبسة و هي التي كانت تستعمل للمبيت ليلا و كذا الرحاب و التي تخلت عن وظيفتها وتخصصها لتصبح مرتعا للتجارة غير الرسمية (أنظر الصورة رقم 04، 05).

04

رحبة الصوف و انتشار التجارة غير الرسمية بها

05

فندق بن حمادي تغيير النشاط ليصبح بيع الألبسة

و يمككنا من خلال بحثنا هذا تسليط الضوء على عينة من هذه التجهيزات و هي المساجد و الزوايا على اعتبار أنها وكذا الحمامات، هي الوحيدة التي حافظت و إلى يومنا هذا على نشاطها الأساسي وتؤدي خدماتها على أكمل وجه.

3-1- المساجد:

أ – المسجد الكبير: بناه الحماديون سنة 503هـ، 1136م ، أقيم على أنقاض المعبد الروماني الكائن بنهج العربي بن مهيدي حاليا، تغيرت هندسته الخارجية من جراء الترميمات المتلاحقة، ويتميز بالكتابات العربية المنقوشة على جدرانه.

ب.مسجد سوق لغزل أو حسن باي: أمر ببنائه حسن باي سنة 1721، و انتهى تشييده سنة 1730 م، وقد حولته الإدارة الاستعمارية إلى كاتدرائية، وظل على هذا الحال إلى ما بعد الاستقلال أين تم إرجاعه إلى وظيفته الأصلية مسجدا جامعا، يتواجد بالقرب من قصر الحاج أحمد باي.

مسجد سوق الغزل حاليا

مسجد سوق الغزل عند تحويله إلى كاتدرائية

ج– الجامع لخضر أو سيدي لخضر: أمر ببنائه الباي حسن بن حسين الملقب أبو حنك وانتهى تشييده في عام 1743م، كما يدل عليه النقش الكتابي المثبت على لوح من الرخام فوق باب المدخل، وتوجد بجانب المسجد مقبرة تضم عدة قبور من بينها قبر الباي حسن وعائلته.

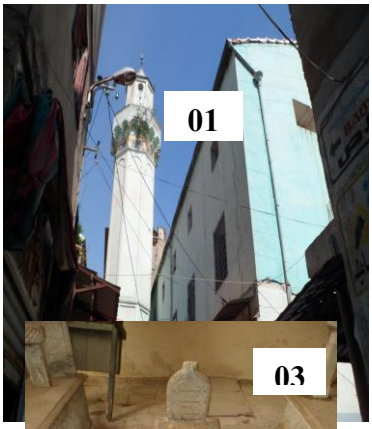

1- واجهة المسجد

2- قاعة الصلاة

3- قبر حسن باي

4- المحراب

د- مسجد سيدي الكتاني أو صالح باي: يوجد بساحة" سوق العصر "حاليا، أمر صالح باي بن مصطفى ببنائه في عام 1776م، وإلى جانبه توجد مقبرة عائلة صالح باي، كما يتميز هذا المسجد عن سابقيه بمنبره الفريد من نوعه.

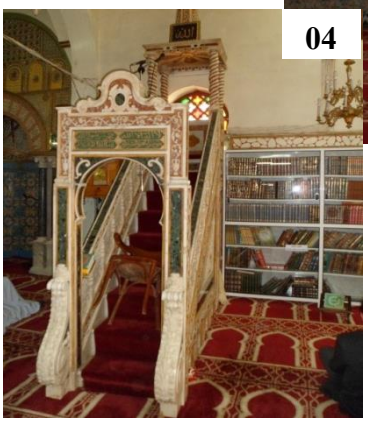

1- واجهة المسجد

2- قاعة الصلاة

3- مقبرة عائلة صالح باي المتواجدة على مستوى مدرسة الكتانية بجانب المسجد.

4- المنبر

هـ– مساجد الأحياء: تؤدى فيها الصلوات الخمسة، تنتشر في كامل أحياء المدينة، تختلف في هندستها المعمارية وكذا في أحجامها، يأخذ كل واحد منها اسما قد يكون نسبتا للحي المتواجد به المسجد أو لولي من أولياء الله الصالحين أو عالما من العلماء الأجلاء.

من هذا المساجد يمكننا ذكر : مسجد سيدي جليس، الأربعين شريف، سيدي عفان، سيدي مغرف، عبد الرحمان القروي، سيدي ميمون، سيدي عبد المؤمن، سيدي قموش، عمر الوزان، سيدي محمد الدباغين....و غيرها.

3–2–الزوايا: زوايا مدينة قسنطينة كانت في الماضي 35 زاوية موزعين على كامل المدينة، مظهرها المعماري لا يختلف عن المساجد غير أنها أقل حجما منها، كانت مهمتها و مازالت إلى حد الساعة هي تعليم الأطفال والشباب تعاليم ديننا الحنيف، كما تقام بها الصلوات الخمس عدا صلاة الجمعة فهي تقام بالمسجد، تستمد هذه الزوايا أسمائها في غالب الأحيان من أسماء العائلات المؤسسة لها وكذا أولياء الله الصالحين و كأمثلة نذكر:

- الزاوية القادرية أو سيدي عبد المؤمن: تتواجد في شارع ملاح سليمان .
- زاوية بن الشيخ لفقون: تتواجد بها رفات العالم أبوزكريا يحيى الفقون، الذي توفي سنة 1580
- الزاوية العيساوية: تسمى كذلك زاوية سيدي بوعنابة، معروفة بطقوسها الاحتفالية الدينية، تتواجد على مستوى شارع صلاحي الطاهر.
- الزاوية الطيبية: تتواجد على مستوى شارع بوهالي
- زاوية بن عبد الرحمان أو الرحمانية: تتواجد بساحة طاطاش بلقاسم، تسييرها العائلة المؤسسة و هي عائلة باشتارزي.
- زاوية سيدي راشد: تستمد إسمها من العالم سيدي راشد، تتواجد على مستوى شارع بن زقوطة. .

المنشآت الدينية ما بين 1837-1987

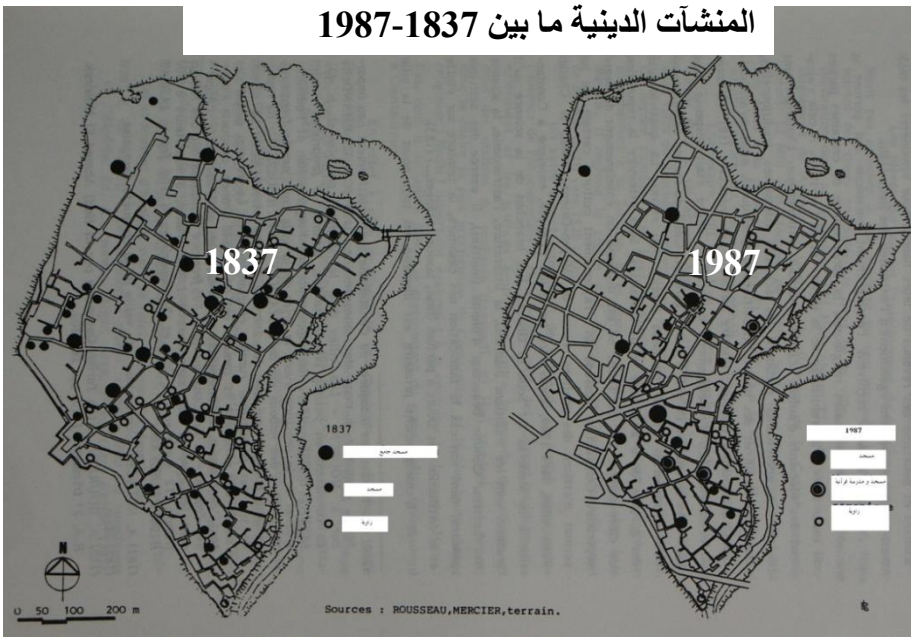

– الحالة العامة للتراث العمراني بالمدينة القديمة ومحاولة الحفاظ عليه:

من خلال الجدول و الخريطة التابعة له نلاحظ أن قرابة 55.5 % من المباني التي مسها التحقيق الميداني و هي في حدود 1065 بناية،

أ– الحالة العامة للتراث العمراني بالمدينة القديمة:

الحالة العامة للمباني

بنايات في حالة جيدة	%	في حالة متوسطة	%	في حالة متدهورة	%	بنايات فوضوية	%	بنايات بها أشغال	%	المجموع العام للبنايات المعنية بالتحقيقات الميدانية	مجموع البنايات التي لم يتم إدراجها في التحقيق	العدد الإجمالي للبنايات

4.هي في حالة متدهورة أي أكثر من نصف عدد البنايات و هذا ما يدعو للقلق خاصة مع قدم هذه البنايات و التي لم تصبح صلبة كفاية لتقاوم الظروف المناخية، إذا استثنينا عامل أخر هو الإنسان.

1164	99	**1065**	**2.72**	29	**1.50**	16	**54**	575	**29.30**	312	**10.61**	133

Source : Plan de sauvegarde et de mise en valeur de la vieille ville de Constantine : Phase 1 : « Diagnostic et mesures d "urgence », Constantine, mai 2009

أسباب تدهور الحالة العامة للعمران بالمدينة القديمة :

– عدم صيانة هذه الأبنية من طرف ساكنيها.

– بعض عمليات الترميم بالمواد الحديثة.

– الزلزال و كثافة حركية السيارات و التي أحدثت هزات تسببت في إنهيار عدة مباني.

- الكثافة السكانية داخل المباني.
- قدم المباني.
- الهدم العمدي من طرف الساكنة.
- الهدم من طرف البلدية.
- تأثير المباني المهدمة على تلك التي بجانبها.
- التوسعات الأفقية و العمودية في المباني و ما له من
- تأثير على صلابة المباني.

المدينة القديمة: الحالة العامة

Source : Plan de sauvegarde et de mise en valeur de la vieille ville de Constantine : Phase 1 : « Diagnostic et mesures d"urgence », Constantine, mai 2009

ب–محاولات الحفاظ على هذا التراث:

ب–1 الدراسات المجمدة:

- **1960:** تم إنجاز دراستين، الأولى من طرف المهندس الفرنسي G.H.Calsate و التي أصبحت فيما بعد بمثابة الأساس لباقي الدراسات اللاحقة، والثانية، أنجزت من طرف مكتب الدراسات العمرانية BERU وكان من اقتراح الدراستين إخراج المركز الأوربي من الصخرة، هذا المقترح لم يؤخذ بعين الاعتبار، لأن مختلف المنشآت والتجهيزات متواجدة على مستوى الصخرة.
- **1975:** مخطط التعمير الرئيس PUD والذي اهتم بالتوسعات الجديدة على حساب تجديد الصخرة وهذا لامتصاص الضغط المفروض على المدينة.
- **1982:** قامت المديرية الجهوية للمركز الوطني للانجاز العمراني CNERU بإنجاز المخطط العمراني الرئيس الخاص بمدينة قسنطينة، حيث طرحت إشكالية تجديد المدينة القديمة بالحفاظ على معالمها، و استغلال خصائصها المتميزة.
- **1984:** بأمر من وزارة التعمير والسكن تم إبرام اتفاقية بين ولاية قسنطينة ومكتب الدراسات العمرانية URBACO، وهذا لتولي عملية إعادة هيكلة وتجديد الصخرة أو المدينة القديمة، بالاعتماد على المعاينة والتحقيقات الميدانية، وقد أصبحت هذه الدراسة مرجعا للكثير من الدراسات والأبحاث التي تلت بعد ذلك.
- **1988:** تم تقسيم المدينة القديمة إلى 08 قطاعات، ونصبت لجنتان الأولى ثقافية مهمتها اختيار المعالم ذات القيمة الفنية والتاريخية، والثانية تقنية مهمتها دراسة مقترحات اللجنة الأولى.

ب–2 المخطط العام لحماية الصخرة: MASTER PLAN

بعد الزيارة التي قام بها الرئيس عبد العزيز بوتفليقة إلى روما علم 1999، ومن ثمة زيارة لجنة إيطالية لمدينة قسنطينة عام 2003 م، وبعد جلسات عمل بين وزارة السكن والتعمير وجامعة روما، تقرر إعطاء منحة مالية لحماية المدينة القديمة، وتولت جامعة روما إنجاز دراسة المخطط العام و متابعته.

و يعد هذا المخطط أداة تقنية إدارية و تنظيمية و تطبيقية، وضعت لتأهيل المباني القديمة للمدينة، كما يعتبر إطارا عاما لمجموعة من التدخلات التي سيتم تجسيدها تدريجيا بغية تحسين الوضعية الاقتصادية و الاجتماعية للمدينة القديمة.

كما يهدف هذا المخطط إلى تزويد الهيئات بطرق وآليات تدخل على المدينة القديمة، وقد انطلقت العملية في 19 جوان 2003.

غير أن هذا المشروع ما يزال حبيس الأرشيف لأسباب يصعب معرفتها.

ب-3 مشروع خلية إعادة الاعتبار والمحافظة على المدينة القديمة:

تم تنصيب خلية عمل la Cellule لحماية و إعادة تأهيل المدينة القديمة و تسييرها حضريا، يرأسها الوالي و تضم 34 عضوا، مقرها مدرسة العربي بن مهيدي، تضم أربع ورش لكل منها مهمته الخاصة، وهي ورشة الإستراتيجية و البحث، ورشة الإعلام و الاتصال، الورشة التقنية، الورشة القانونية.

مهمة الخلية:

- وضع مخطط حماية للمدينة القديمة و إدماجه هي إطار مخطط Master Plan، كما ينبغي أن يتماشى هذا المخطط مع مختلف التدخلات حفظا للمظهر العام و الأصلي للمدينة القديمة و يتم هذا العمل على ثلاث مراحل:
- مرحلة التشخيص وجمع المعطيات، مرحلة التفصيل وتشخيص المجال، مرحلة يتم فيها تفصيل الأشغال بتحضير وإعداد ملفات التدخل على المنشآت والمباني ذات الأهمية التاريخية والمعمارية.

للإشارة يشرف على انطلاق هذه العملية الوالي ويقوم بتنفيذ العمليات مكاتب الدراسات عن طريق مسابقات خاصة.

5-برنامج مدينة قسنطينة عاصمة للثقافة العربية 2015 :

تم تسمية قسنطينة كعاصمة للثقافة العربية 2015 في 2012/12/30، وقد تم تسجيل مشروع قسنطينة عاصمة الثقافة في 2013/05/06.

هذا المشروع أو البرنامج يتكون من مجموعة من المشاريع تم توزيعها إلى 13 منطقة zones تحوي كل منطقة على مجموعة من المشاريع المصغرة، بالإضافة إلى ثلاثة مشاريع أخرى خارج المدينة هي: تسييج و إعادة الاعتبار للمدينة الأثرية تيديس وكذا تهيئة وإعادة الاعتبار لضريح ماسينيسا و ترميم زاوية سيدي محمد لغراب.

بطاقة فنية لمشروع ترميم المدينة القديمة لقسنطينة + 3 مشاريع خارجها

المشروع	ترميم و تثمين المدينة القديمة لقسنطينة
تاريخ التسجيل	2013/05/ 06
صاحب المشروع maitre d'ouvrage	وزارة الثقافة
صاحب المشروع المنتدب maitre d'ouvrage délégué	الديوان الوطني لتسيير و استغلال الممتلكات الثقافية المحمية OGEBC
المسير	والي ولاية قسنطينة
المكلف بالدراسات و المتابعة الميدانية	21 مكتب دراسات
مدة الانجاز	الدراسات: حوالي 06 أشهر الانجاز: 20 شهرا
القيمة المالية للمشروع	7 700.000.000,00 دج

المصدر: الديوان الوطني لتسيير و استغلال الممتلكات الثقافية المحمية قسنطينة

مشاريع الترميم و إعادة الاعتبار للتراث المادي

01	ترميم واجهات و أرضيات الشوارع و الأزقة
02	ترميم و إعادة تثمين الساحات المهمة
03	ترميم الدروب
04	ترميم المساجد المهمة
05	ترميم الزوايا المهمة
06	ترميم مدرسة الكتانية
07	ترميم الفنادق
08	ترميم الحمامات
09	ترميم البنايات القديمة بالقصبة
10	القيام بتنقيبات عن الآثار بالقصبة
11	ترميم جدران القصبة
12	إضاءة الجسور ذات البعد التاريخي
13	ترميم البنايات ذات الخصوصية كدار الدايخة ابنت الباي و منزل بن باديس، الطاحونة ...
14	إعادة بناء الجزء السفلي من السويقة بحدائقه
15	ترميم الرسومات المتواجد على جدران قصر الباي
16	تسييج و إعادة الاعتبار للمدينة الأثرية تيديس
17	تهيئة و إعادة الاعتبار لضريح ماسينيسا
18	ترميم زاوية سيدي محمد لغراب

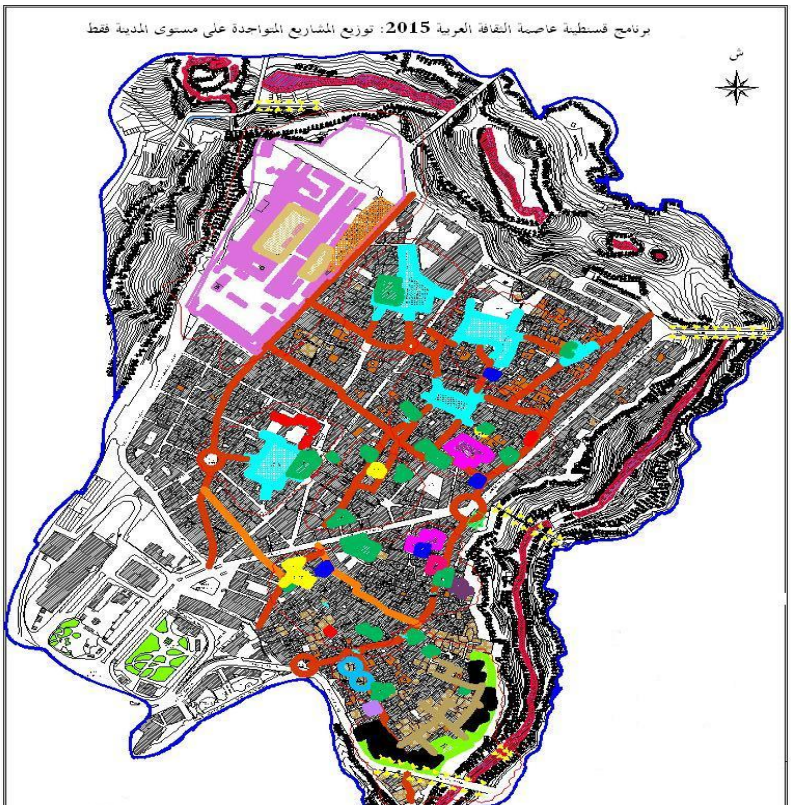

مفتاح الخريطة

- ترميم الأزقة و الشوارع
- ترميم المساجد و الزوايا و المدرسة
- ترميم الفنادق
- ترميم الحمامات
- ترميم الدروب
- ترميم و إعادة الاعتبار للساحات
- ترميم البنايات القديمة بالقصبة
- القيام بتنقيبات عن الآثار بالقصبة
- ترميم الطاحونة
- ترميم المدبغة
- ترميم البنايات ذات الخصوصية
- ترميم جدران القصبة
- إضاءة الجسور ذات البعد التاريخي
- إعادة بناء الجزء السفلي من السويقة بحدائقه

كل هذه المشاريع يضاف إليها 03 مشاريع أخرى خارج مدينة قسنطينة وهي تسييج وإعادة الاعتبار للمدينة الأثرية تيديس و تهيئة و إعادة الاعتبار لضريح ماسينيسا و ترميم زاوية سيدي محمد لغراب.

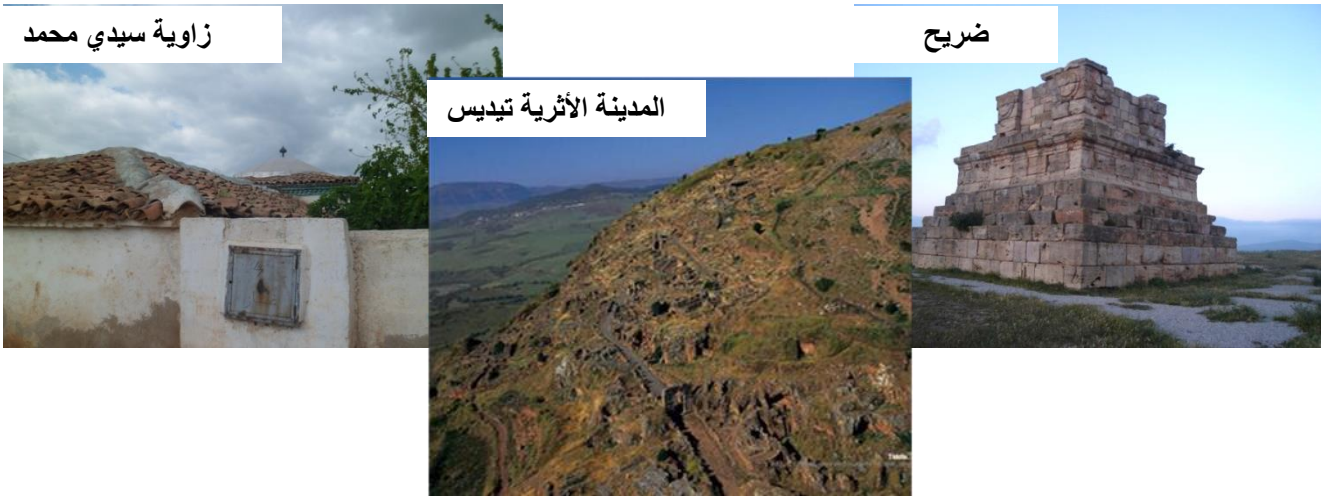

6-الإضافة التي سيمنحها هذا البرنامج بمشاريعه، في مجال التنمية السياحية والاقتصادية لمدينة قسنطينة:

أولا و قبل الخوض في هذا العنصر يجب أن نتوقف عند أمر مهم وهو لماذا يجب علينا تنمية قسنطينة سياحيا؟

- قسنطينة تعتبر نقطة تلاقي بين ولايات الشرق والغرب الشمال والجنوب الجزائري، بها مدينة متروبولية كبيرة وذات مكانة مهمة في إقليمها وولها مجال نفوذ كبير تستقبل آلاف المسافرين يوميا، فتنمية الهياكل السياحية بها سوف يحث هؤلاء الزوار على قضاء بعض من وقتهم في التنزه والاستجمام.
- تعد قسنطينة عاصمة اقتصادية في إقليمها فهي مركز عبور هام يربط المناجم بأماكن التصنيع و التصدير أي الموانئ إضافة إلى كونها مركز تجاري كبير نظرا لاحتوائها على العديد من الأسواق اليومية و الأسبوعية دون أن ننسى مركز المدينة القديم الذي يضم مئات من المحلات التجارية التي تعرف زيارة عدد كبير من الأفراد القادمين من كل أنحاء الولاية بالتالي الاهتمام بتحسين هذا الجانب يساهم في جلب العديد من الأشخاص.
- تحتوي كذلك على كمونات طبيعية، أثرية، تاريخية، دينية وعلمية كبيرة ، العديد منها مصنف كتراث وطني يصلح لأن يشبع فضول السياح إذا ما استثمر بطريقة عقلانية ذكية في المجال السياحي ، خاصة و أنها كمونات في حالتها الخام ، غير مستغلة و متروكة على طبيعتها الأولى، بل أنها تعرف التقهقر والتلاشي يوما بعد يوم.
- تمتلك قسنطينة العديد من العادات التقاليد التي بإحيائها سوف تجلب فضول السياح خاصة منهم الأجانب.
- التنمية السياحية بهذه الولاية سوف تفتح الأبواب أمام سكان المدينة للراحة والتنزه والترفيه وتزيد من روح الابتكار وتحسين المنتوج وتنويع عروضها واستقطاب السياح من كل الأنحاء سواء من داخل الوطن ، الجالية في المهجر أو الأجانب الذين سكنوا الولاية إبان الاحتلال الفرنسي هم الآن متعطشون للعودة إليها و زيارتها وآخرون.

فمن خلال ما تقدمنا به في بحثنا هذا و العنصر الذي قمنا بالتركيز عليه وهو التراث العمرانية والذي يمكن اعتباره فريدا من نوعه، خاصة مع مدينة جميلة، تتربع على صخرة، ترتبط أربعة من أطرافها بجسور كل منها يحكي تريخا خاصا به. كل هاته الإمكانيات يجب تثمينها لتصبح محجا للسياح ومن ثم نواة للاستثمار في اليد العملة المحلية للقضاء على البطالة وزيادة المداخيل من العملة الصعبة، لذلك فبرنامج قسنطينة عاصمة الثقافة العربية 2015 بمشاريعه المذكورة سابقا، سيشكل الانطلاقة الحقيقية لتنمية ولاية قسنطينة ككل سياحيا، ويبقى على السلطات المحلية الشق الأخر وهو بناء منشآت الاستقبال والإطعام.

فعمليات الترميم الهدف منها هو المحافظة على البنايات التراثية و كذا جعلها محجا للسياح، لكي يتعرفوا على تاريخ مدينة عريقة كمدينة قسنطينة.

خاتمة:

إن الطراز العمراني والمعماري في جزائر اليوم يسير في طريق العولمة المعمارية وهو واقع تمر به كل دول العالم، فلا يظهر الفرق بين العمارات في بلدان أوربا ولا أمريكا ولا البلدان العربية والإسلامية، بل إنها تسير وفق نمط ونظام واحد.وعلى الرغم من شيوع هذا النمط عبر مختلف أنحاء العالم إلا أنه يمكن أن نرى بعض اللمسات المحلية في بعض البلدان والأقاليم، فلا تزال بعض البلدان تحافظ على جوانب من ثقافتها المعمارية المحلية، وهو ما ينبغي أن ننتبه إليه في تخطيط عمائرنا نحن أيضا، وعلينا العودة إلى تراثنا حتى نظهر الشخصية الجزائرية في عمائرنا لتتميز عن غيرها من البلدان.

تمثل المعالم الأثرية العثمانية بقسنطينة النسبة الغالبة من المعالم الأثرية الباقية، ومن الأمثلة على ذلك المدينة القديمة لقسنطينة التي لا تزال تحتفظ من معالم العصر الوسيط غير الجامع الكبير، بينما تضم عدة معالم عثمانية والتي نذكر من أهمها جامع سوق الغزل والجامع الأخضر وجامع سيدي الكتاني ومدرسة سيدي الكتاني ومدرسة الجامع الأخضر وزاوية بن عبد الرحمن وزاوية حنصالة وقصر الباي وغيرها من الدور والمساكن التي لا تزال تحتفظ بأصالتها المعمارية والفنية العثمانية.إن هذه العمائر تشهد على مدى نشاط الحركة العمرانية بالجزائر خلال العهد العثماني وتوسع المدن وتعددها، وهي تؤكد على أن الحكم العثماني بالجزائر يمثل صفحة مشرقة وعصرا

لامعا في تاريخ بلدنا ينبغي أن نعتز ونفتخر به مثلما نعتز ونفتخر بتاريخنا الزياني أو الحمادي أو الزيري أو الرستمي، وعلينا في النهاية أيضا أن نفتخر بتراثنا سواء كان عثمانيا أو حتى رومانيا أو ما قبل ذلك من عهد أجدادنا النوميديين وإنسان عصور ما قبل التاريخ، إن هذا التراث في مجمله يشهد على عراقتنا و تعدد ثقافاتنا و تجذرنا في تاريخ البشرية.

التراث العمراني جدير بالمحافظة عليه، نظرا لأهميته التاريخية و كذا السياحية، فمدينة كقسنطينة بتنوع تراثها المبني يجب على المسؤولين الاهتمام به كما هو الحال في برنامج قسنطينة عاصمة الثقافة العربية 2015، لهذا فنحن نثمن هذه الالتفاتة و إن جاءت بعض الشيء متأخرة، لترميم ما يمكن ترميمه من تراثنا قبل أن يزول، كما لا يفوتنا أن نلفت الانتباه إلى الثقل الذي يمكن لهذا الأخير لعبه في ميدان السياحة و من ثمة الاقتصاد.

الهوامش

1. عبد العزيز فيلالي، محمد الهادي لعروق، مدينة قسنطينة (دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية)، دار البعث، قسنطينة، الطبعة الأولى 1984
2. F.Djemai, épouse Boussouf, « mise en évidence des structures permanentes comme méthode de revalorisation du patrimoine bâti : cas de Constantine », Mémoire de Magister, EPAU, Alger, 2002, 256 pages.
3. BERNARD PAGAND, La Médina de Constantine : de la ville traditionnelle au centre de l'agglomération contemporaine, thèse de doctorat 3éme cycle, université de Poitiers, 1989.